الحرفيون والصُناع في الأَنْدَلُس عصر دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/١١٤٦-١٢٦٩م)

محمد سليمان محمد كريم

باحث ماجستير، تاريخ إسلامي، جامعة الفيوم

الملخص:

تعد فئة الصناع والحرفيين من أهم فئات طبقة العامة في الدولة الإسلامية، وفي الأَنْدَلُس عصر دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/ ١١٤٦-١٢٦٩م) اهتم أهلها بالحرف والصناعات، وشجع المجتمع على اكتساب الحرف والصناعات التي كانت تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وكان الحرفيون والصناع يفتخرون بحرفتهم وينتسبون إليها، وكان التنظيم الحرفي يقوم على التدرج في الحرفة، فكان يميز بين المعلم (شيخ الصنعة)، والصانع المُتدرب، والمُتَعلِم (الصبي الصغير)، وكان لكل فئة حرفية أو صناعية مواضع خاصة في المدن والأسواق، أو على أطراف المدن، وكانت دولة الموحدين تتولى الإشراف على الحرفيين والصناع من خلال نظام الحسبة.

الكلمات المفتاحية: الحرفيون، الأندلس، دولة الموحدون، الحرف، الاقتصاد، الحسبة.

Craftsmen and Makers in Andalusia during the Almohads Period (541-668 A.H./ 1146-1269 A.D.)

By: Muhammad Suleiman Muhammad Kuraim

Abstract:

The sector of makers and craftsmen is one of the most important social classes in the Islamic state. In Andalusia during the Almohads period (541-668 A.H. / 1146-1269 A.D), the people gave special care to the crafts and industries. The society also encouraged people to learn crafts and industries that were inherited among generations .

The craftsmen and makers used to pride their jobs and belonging to them. The crafts organization is based on a hierarchy in positions differing between the master (the veteran), the apprentice, and the learner. Every crafting or industrial sector used to have specific places in cities' public markets or the outskirts. Almohads supervised these craftsmen and makers through the Hesba system.

Keywords: Craftsmen, Al-Andalus, Almohads, Crafts, Economy, Hesba.

اشتهر الحرفيون والصناع في الأَنْدَلُس بالدقة والمهارة في صنائعهم، والجد والصبر في أداء أعمالهم، وقد وصف ابن غالب[١] أهل الأَنْدَلُس بأنهم "صينيون في إتقان الصَّنَائِع العملية وإحكام المهن التصَوُّرية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال، ومقاساة النصب في تحسين الصَّنَائِع"، ويضيف أنهم "متى دخلوا في شغلٍ عملوه في أقرب مدة، وأفرغوا فيه من أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم، ويصير الذكر لهم، ولا يدفع هذا عنهم إلا جاهل أو مبطل"[٢].

وسوف أتناول في هذا البحث الحرفيون والصناع في الأَنْدَلُس عصر دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨هـ/ ١١٤٦-١٢٦٩م) من حيث النظم والتقاليد الخاصة بالحرفيين والصناع، وطرق إشراف ورقابة الدولة على الحرفيين والصناع، كما سوف أتحدث عن الوضع الاقتصادي والمكانة الاجتماعية للحرفيين والصناع في المجتمع الأندلسي، ونظرة الدولة والمجتمع إليهم.

أولاً: نظم الحرفيين والصناع وتقاليدهم:

أطلق المغاربة والأندلسيون على العمال لفظ الصُّنَّاع[٣]، أما الموحدون فقد أطلقوا عليهم اسم عبيد المخزن[٤]، ويمكن تصنيف أهل الحرف والصَّنَائِع إلى ثلاثة أصناف:

---

(١) ابن غالب (محمد بن أيوب الغرناطي، عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م): قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق: لطفي عبد البديع، ***مجلة معهد المخطوطات العربية***، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٢٨٢؛ المَقَّرِيّ (شهاب الدين أحمد بن مُحمد التلمساني، ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب، وذكر وزيره لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٥١ رواية ابن غالب.

(٢) المَقَّرِيّ: نَفْح الطِّيبِ، ج٣، ص١٥٢ رواية ابن غالب.

(٣) السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي، عاش في أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م): في آداب الحسبة، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣١م، ص٦٢؛ الناصري: الاستقصا لأخبار الغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج٢، ص١١٤، ١٧٤. سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٢٣. الصُّنَّاع في اللغة جمع صانع، وهي منسوبة إلى الصناعة، زحرفة الصانع، والمشتقة من الفعل الثلاثي صَنَعَ. الرازي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي، ت٦٦٦هـ/=

- الصنف الأول: هم الصُنَّاع الذين يملكون آلات العمل ودكاكين خاصةً بهم(٥)، ونادرًا ما كان هؤلاء الملاك يقومون بالعمل والخدمة بأنفسهم، بل كانوا يستأجرون صناعًا وصبيانًا يعملون تحت إشرافهم(٦)، وهذا النوع من العمال يُسمى العامل الخاص(٧).
- الصنف الثاني: يتمثل في الصُنَّاع الذين لا يمتلكون كثيرًا من آلات العمل ولا دكاكين خاصة بهم، وهؤلاء عادة ما كانوا يتخذون الأزقة والحارات لخدمة كل من يحتاج إليه، مثل الخراز والخياط والصَبَّاغ والدبَّاغ والنشار(٨).

= ١٢٦٧م): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٧٩.

(٤) العُمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، ٢٧جزء، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ج٤، ص١٤٨؛ سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص١٢٣.

(٥) تشير كتب الفتاوى والنوازل إلى الملكية في المعادن وآلات العمل من أرحاء وأفران وملاحات ومعاصر ومطاحن ومناسج. للمزيد انظر: الوَنْشَرِيسي (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت٩١٤هـ/١٥٠٤م): المِعْيار المُعْرِب والجامع المُغْرِب عن فتاوى علماء إفريقية والأَنْدَلُس والمَغْرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١م، ج٥، ص٢٢٢ وما بعدها، ج٩، ص٤٠٨؛ عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢١٣.

(٦) ابن رحال (أبو علي الحسن بن رحال المعداني، ت١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م): كشف القناع عن تضمين الصناع، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م، ص٥٠؛ خالد عبد الكريم البكر: النشاط الاقتصادي في الأَنْدَلُس في عصر الإمارة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٣م، ص٢٢١؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، ص١٢٣.

(٧) ابن رحال: كشف القناع، ص٥٠؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢١٥.

(٨) الخراز هو محترف صناعة الجلد، والخياط هو الذي يقوم بخياطة الثياب، والصَبَّاغ هو من يقوم بصباغة الثياب، والدباغ هو الذي يقوم بدباغة الجلود، والنشار هو الذي يقوم بالنجارة ونشر الخشب. انظر السقطي: في آداب الحسبة، ص٦٢– ٦٥؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مملكة غرناطة، ص١٢٣.

- الصنف الثالث: هم الصناع المتجولون في أحياء المدن والأرياف حسب العرض والطلب، مثل صناع الأدوات الحديدية والخشبية وغيرها[٩].

واهتم أهل الأَنْدَلُس بالحرف والصناعات، وكان لكل طائفة حرفية أو صناعية مواضع للصناعة أو للبيع، خصصت بالنسبة لكل مدينة في وسط المدينة أو في الأطراف، وكان معظمها يتجمع في السوق الممتد في نواحي المسجد الجامع، وكان لكل حرفة منها سوقٌ أو شارعٌ باسمها[١٠]، مثل ربض الفخارين، وسوق العطارين والصباغين والوراقين والدباغين والطوابين والخبازين والخياطين والصوافين[١١]. أما بخصوص تنظيمات الصُناع في الأَنْدَلُس عصر الموحدين، فكانوا ينتظمون في طوائف خاصة[١٢] تضمهم، تشبه النقابات، يرأسها

(٩) عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢١٥؛ سامية مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في غرناطة، ص١٢٣.

(١٠) ابن عَبْدون (محمد بن أحمد التجيبي، توفى في النصف الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م): رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحْتَسِب، نشر: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٤٣؛ السيد عبد العزيز سالم: قُرْطُبة حاضرة الخلافة في الأَنْدَلُس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٣١.

(١١) ابن العطار(مُحمد بن أحمد الأموي، ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م): الوثائق والسجلات، تحقيق: بدور شالميتا وكورينطي، المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م، ص٩٢؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٤، ص٢٣٠؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن عبد الله، ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤مجلد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م، ج٥، ص٢٠٧؛ عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣١.

(١٢) عُرفت الطوائف الصناعية والحرفية في الأَنْدَلُس بعدة أسماء منها: "أهل الصَّنَائِع". ابن حَوْقَل النصيبي (أبو القاسم مُحمد بن علي، ت٣٨٠هـ/ ١٩٩٠م): صورة الأرض، جزآن، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م، ص١٠٩. وذكرهم السقطي باسم "أصحاب الصناعات" في آداب الحسبة، ص٩؛ وعرفوا أيضًا "بالأصناف". انظر: السقطي: في آداب الحسبة، ص٣٢؛ ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي، ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٨٤؛ وذكرهم ابن فضل العمري باسم "أصحاب الصَّنَائِع والمهن". مسالك الممالك، ج٥، ص٧٣.

شخص من أهلها يسمى الأمين، وكان يُشترط فيه العلم والفقه والخبرة، ويكون تعيينه عادة من قِبل القاضي أو المُحْتَسِب، وينتخب من أهل الصنعة باقتراح يقدم لصاحب السوق (المُحْتَسِب)[١٣] ومعه أمينٌ ثانٍ بمثابة نائب للرئيس، وأعضاء آخرون من أهل الصنعة[١٤]، وقد أكد ابن عبدون على أن يكون لكل صناعة أمين[١٥].

ووظيفة **الأمين** أن يكون وسيطًا بين أهل الحرفة والمُحْتَسِب في كل ما يتعلق بشئون الحرفة والحرفيين، مثل الاتفاق على أسعار السلع، وحل الخلافات التي تحدث بين أهل الطائفة الحرفية في أمور الصنعة فلا تصل إلى الحاكم، وكان حكم الأمين إلزاميًا على الصناع والحرفيين[١٦]، كما يُعد مسئولًا عن كل ما يقع داخل نطاق طائفته التي ينتمي إليها من إخلال بالقواعد المتفق عليها فيما يتعلق بالأمانة التجارية[١٧]. وفي عصر الموحدين كان أمناء كل صنعة يخضعون إلى الإشراف المباشر من الخلفاء أنفسهم[١٨].

وإلى جانب وظيفة الأمين، نجد وظيفة "العريف"[١٩]، وهو الشخص الذي يستخدمه المُحْتَسِب (صاحب السوق) ليساعده في الإشراف على أهل الصناعات والحرف، ويكون

---

(١٣) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٥٣؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص٢٣، ٣٩، ٥٦؛ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢١٦؛ أحمد مختار العبادي: "الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية"، ***مجلة عالم الفكر***، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٠م ، ص١٣٦.

(١٤) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٢٤.

(١٥) رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٥٣.

(١٦) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٢٤، ٥٣؛ ليفي بروفنسال: "المدن والنظم المدنية في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ضمن سلسلة محاضرات عامة في أدب الأَنْدَلُس وتاريخها"، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة عبد الحميد العبادي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م، ص٨٩.

(١٧) عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣١؛ خالد البكر: النشاط الاقتصادي، ص٢٢١.

(١٨) المَرَّاكُشِي (عبد الواحد بن علي، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢٦٢

(١٩) السقطي: في آداب الحسبة، ص٣٣.

عادةً من وجوه أرباب الصَّنَائِع والحرف حتى يستطيع كشف غش العاملين في هذا الميدان وتلاعبهم، ويشترط فيه الثقة والأمانة، وأن يكون حاذقًا لصنعته عارفًا بصيرًا بأسرارها(٢٠).

وكان يطلق على عرفاء البناء اسم "المهندس(٢١)" أو "المعلم"(٢٢) أو "شيخ العرفاء"(٢٣)، ويقصد به رئيس البنَّائين، ويشترط فيه أن يكون خبيرًا بأعمال البناء بأنواعه المختلفة.

كذلك يطلق لفظ العريف على المهندس الذي يخطط المبنى ويشرف على إتمام عمارته، أو على البنَّاء نفسه الذي يعهد إليه بأعمال التشييد(٢٤). وكان لهم رئيس يسمى

(٢٠) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٣٥؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص٩، ٣٣.

(٢١) مثل المهندس الحاج يعيش المالقي. انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٨٥، ٣٧٧، ٣٧٨.

(٢٢) مثل المعلم أبو الليث الصقلي: ذكر ابن أبي زرع أنه صنع تفافيح منارة جامع إِشْبِيلِيَة، ورفعها إلى أعلى المنارة، ولكن لم يذكر ابن صاحب الصلاة شيئًا عنه. ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م، ص٢٢٩؛ المن بالإمامة، ص٣٩٢ هامش رقم٤؛ الناصري: الاستقصا، ج٢، ص١٧٤.

(٢٣) أقدم من لُقب بهذا اللقب شيخ العرفاء من عرفاء الأَنْدَلُس هو أحمد بن باسة. انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٨٦، ٣٨٢، ٣٩١؛ ابن عِذَارِي (أبو عبد الله أحمد بن محمد المَرَّاكُشِي، كان حيًا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م): البَيَان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس والمغرب – قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م، ج٣، ص٩٦؛ كما أطلق هذا اللقب على العريف علي الغامري. انظر: ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٢٩٢، الناصري: الاستقصا، ج٢، ص١٤١.

(٢٤) محمد الكحلاوي: عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية، السجل العلمي لندوة الأَنْدَلُس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٦م، ص٢٠٢.

عريف العرفاء أو(شيخ العرفاء) مثل ابن باسة[٢٥] الذي برع في صناعة البناء، وكذلك العريف علي الغماري[٢٦].

ولم يقتصر تنظيم الحرف في الأَنْدَلُس عند تعيين الأمناء أو العرفاء؛ فمن المعروف أن التنظيم الحرفي كان يقوم على التدرج في الحرفة، فكان يميز بين المُعلِم (شيخ الصنعة)، والصانع المُتَدرِب، والصبي المُتَعلِم[٢٧]، وكان من حق شيخ الصنعة أن يستثمر أمواله الخاصة، إلا أنه في بعض الأحيان كان يرتبط اثنان أو أكثر بعقد شراكة لتوفير ما تحتاج إليه بعض الصناعات من عدة وآلات ثمينة[٢٨].

وقد جرت العادة أن يتدرج الفرد في الحرفة من مبتدئ أو صبي صغير إلى صانع مُتَدرب، وكانت هذه النقلة مهمة في حياة الصانع؛ لأنها تمكنه من الاستقلال بنفسه في حانوت خاص، وتوصله بعد ذلك إلى الرئاسة والمعلمة، لهذا كان يصحب هذه الترقية احتفال يقوم فيه شيخ الطائفة بشد وسط المحتفل به بحزام مع عقدة يقوم كبار المعلمين الحاضرين في الحفل بحلها، ثم يلبس المحفل به لباسًا خاصًا، ويعرف بواجباته الجديدة،

---

(٢٥) المعلم أبو اللَّيْث الصّقليّ: ذكر ابن أبي زرع أنه صنع تفافيح منارة جامع إِشْبِيلِيَة ورفعها في أعلى المنارة، ولكن لم يذكر ابن صاحب الصلاة شيئًا عنه. الأنيس المطرب، ص٢٢٩؛ ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٣٩٢ هامش رقم٤.

(٢٦) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص١٤٠. العريف علي الغماري أحد عُرفاء البناء في الأَنْدَلُس عصر الموحدين، وهو الذي خلف العريف أحمد بن باسة في إعادة بناء صومعة جامع إِشْبِيلِيَة، وإصلاح ما اختل من بلاطات الجامع، وزوده بأدراج من جهة الغرب، وسطح حوله بالحجر الكَذَّان (نوع من الحجر الرخو)، ولعل من أغرب ما أضافه هذا المهندس للجامع أن صنع في داخل السقف شمسيات من زجاج، وسطحه بالآجر، ولا نجد لهذه الشخصية ذكرًا إلا عند ابن صاحب الصلاة. انظر: المن بالإمامة، ص٣٩٢.

(٢٧) السقطي: في آداب الحسبة، ص٢٤– ٢٦؛ عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣١. ورد في بعض الفتاوى ما يُشير إلى الصبيان وعدم إتقانهم لأعمالهم بدقة تامة كما يفعل الأستاذ. الوَنْشَرِيسي: المِعْيار المُعْرِب، ج٥، ص٢٥٣.

(٢٨) عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة، ج٢، ص١٣١– ١٣٢؛ خالد البكر: النشاط الاقتصادي، ص٢٢١.

ويؤخذ عليه العهد والميثاق بأن يلتزم بها ولا يخرج عنها، وبذلك يصبح عضوًا في الطائفة(٢٩).

ثانيًا: طرق الإشراف والرقابة على الحرفيين والصناع:

اهتم أهل الأَنْدَلُس بتنظيم الحرف المختلفة تنظيمًا إداريًا يسهل معه مهمة الإشراف المباشر على الأسواق وعلى حركة النشاط الاقتصادي فيها، وكانت الدولة تتولى الإشراف والرقابة على أهل الحرف والصناعات من خلال نظام الحسبة، وهي وظيفة دينية جليلة، رفيعة الشأن موضوعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣٠). وتعد خطة السوق (الحسبة)(٣١) من الخطط الإسلامية الأصيلة التي ظهرت في المشرق، ثم انتقلت إلى الأَنْدَلُس، وكانت تسمى في الأَنْدَلُس أيضًا بـ"أحكام السوق"(٣٢).

---

(٢٩) العبادي: الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ص١٣٦.

(٣٠) الجرسيفي: رسالة في الحسبة، ص١١٩؛ ابن بَسَّام (محمد بن أحمد المُحْتَسِب، عاش في القرن ٦– ٧هـ/ ١٢– ١٣): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٠م، ص٦؛ العبادي: الحياة الاقتصادية، ص١٥٨.

(٣١) عُرفت هذه الخطة في المشرق باسم "الحسبة"، لكنها في الأَنْدَلُس كانت تعرف باسم "خطة السوق" أو "ولاية السوق" أو "حسبة السوق"، وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) أصبح استخدام مصطلح "المحتسب" شائعًا في الأندلس. ابن سهل (عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ت٤٨٦هـ/ ١٠٧٥م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق: يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٢٨؛ المَرَّاكُشِي: المُعْجِب، ص٧٤؛ ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك، ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): المُغرب في حُلَي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ج١، ٤٦؛ العبادي: الحياة الاقتصادية، ص١٥٩.

(٣٢) يحيي بن عُمر (أبو ذكريا يحيى بن عُمر، ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م): أحكام السوق، تحقيق: محمود مكي، ***مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية***، المجلد٤، مدريد، ١٩٥٦م، ص١٠٣؛ ابن بشكوال: (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت٥٧٨هـ / ١١٨٢م): الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس، تحقيق: السيد عزت العطار، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥ م، ج١، ص٢٩٦.

وفي العصر الموحدي كان يُستعمل مصطلحان للحسبة هما: "حسبة السوق، وخطط السوق"(٣٣)، ويرى أحد الباحثين أن خطة السوق أكثر تخصصًا من حسبة السوق، فكانت خطط السوق تركز على النواحي الاقتصادية(٣٤).

وكان صاحب هذه الخطة (الحسبة) يُعرف بصاحب السوق(٣٥) أو صاحب الحسبة(٣٦)، وكان منصبه ذا أهمية كبرى في الأَنْدَلُس، وفي ذلك يذكر الجرسيفي(٣٧): "إن ديوان الحسبة من أعظم الدواوين، وليس بعد خطة القضاء أشرف من خطة الحسبة".

ويدل على أهمية الحسبة ورقابة الدولة على أهل الحرف والصَّنَائِع في الأَنْدَلُس الكتابات التي صُنفت في أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في آداب الحسبة والمحتسب، وقد خصصت هذه الكتابات بعض أجزائها للحديث عن دور المحتسب

---

(٣٣) ابن الأَبَّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٥م، ج٢، ص٤، ١٣٩؛ ج٣، ص١٥٦، ج٤، ص١٠٤؛ المَرَّاكُشِي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١٢م، ج٣، ص٣٨٣؛ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي (تنظيماتهم ونظمهم)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص٢٠٦.

(٣٤) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأَنْدَلُس الاقتصادي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص٣١٣.

(٣٥) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص١٠٨؛ ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأَنْدَلُس، قطعة خاصة بالسنوات الأخيرة من عهد عبد الرحمن الأوسط وعهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: محمود مكي، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٨٦؛ ابن عِذَارِي: البَيَان المُغْرِب، ج١، ص١٦٧؛ عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٢٠٦؛ العبادي: الحياة الاقتصادية، ص١٥٩.

(٣٦) ابن سهل: ديوان الأحكام، ص٢٧؛ البُنَّاهِي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، ت نحو٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م): المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء أو تاريخ قضاة الأَنْدَلُس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٣م، ص٥.

(٣٧) رسالة في آداب الحسبة، ص١١٩.

في الإشراف والرقابة على الحرفيين والصناع، كأحد أهم فئات المجتمع بصفةٍ عامة، والسوق بصفةٍ خاصة(٣٨).

وقد حددت كتب الحسبة بعض الشروط التي يجب توافرها فيمن يتولى الحسبة، أهمها أن يكون عالمًا بالدين متفقهًا فيه، وفي ذلك يقول السقطي(٣٩): "ويجب أن يكون من ولي النظر في الحسبة فقيهًا في الدين قائمًا مع الحق". ويجب أن يكون عفيف النفس، متصفًا بالعدالة، ويُضيف ابن عبدون(٤٠): "ويجب أن يكون المحتسب رجلًا عفيفًا، خيرًا، ورعًا، عالمًا، غنيًا، نبيلًا، عارفًا بالأمور، محنكًا، فطنًا، لا يميل ولا يرتشي، فتسقط هيبته، ويستخف به، ولا يعبأ به، ويتوبخ معه المقدم له". أما الجرسيفي(٤١) فيذكر – أيضًا– أن منْ يتولى الحسبة يجب أن يكون على دراية بأحوال المجتمع، عارفًا بالحرف والصَّنَائِع وحيل الباعة حتى يتوصل إلى معرفة الغش والتدليس.

وكان من واجبات المُحْتَسِب في الأَنْدَلُس – بالنسبة للصناعة– النظر في أمور الصناع، ومعرفة أحوال صنائعهم، ومنعهم من التسويف ومماطلة الناس في حوائجهم لما في ذلك من تعطيل للناس عن أشغالهم والإضرار بهم(٤٢)، وحثهم على اجتناب الغش والتدليس، ومعاقبة المخالفين منهم بالردع والزجر والتوبيخ والضرب والسجن، والإخراج من السوق، والنفي من البلد، وذلك حسب تقدير المُحْتَسِب للعقوبة المناسبة، حيث كان لهم في أوضاع

(٣٨) تتمثل هذه الكتابات في ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحْتَسِب لكل من ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي)، وابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله)، والجرسيفي (عمر بن عثمان بن العباس) وهذه الرسائل الثلاث ترجع إلى النصف الأول من ٦هـ/ ١٢م، وقد نشرها ليفي بروفنسال في مجلة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة عام ١٩٥٥م، بالإضافة إلى كتاب: "في آداب الحسبة" للسقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي، عاش في أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م. للمزيد انظر: عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامى، ص٢٠٦.

(٣٩) في آداب الحسبة، ص٥.

(٤٠) رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٢٠.

(٤١) رسالة في آداب الحسبة، ص١٢٠.

(٤٢) السقطي: في آداب الحسبة، ص٦٢.

الاحتساب قوانين يتداولونها(٤٣). كما كان المحتسب يرتب الصناع، ويجعل كل شكل مع شكله في مواضع معلومة(٤٤).

ولكثرة مسئوليات المُحْتَسِب؛ فقد جرت العادة أن يتخذ له أعوانًا يساعدونه في عملية ضبط الأسواق ومراقبة أصحاب الحرف والصناعات(٤٥)، ومن أعوانه **العريف** الذي كان يُختار من بين ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصَّنَائِع، وفي ذلك يقول السقطي(٤٦): "ويقدم من ثقات أهل الأسواق ووجوه أرباب الصَّنَائِع منْ تُعرف ثقته، وينفع المسلمين نصحه ومعرفته، يستظهر بهم عل سائرهم، ويطلعونه على خفي أسرارهم وخبيث سرائرهم، حتى لا يختفي من أمورهم كثير ولا قليل، ولا يستتر من شأنهم دقيق ولا جليل، فيزول مكرهم، ويرتفع على المسلمين غشهم وضرهم".

ويجب أن تتوافر في هؤلاء الأعوان صفات وخصائص يتميزون بها، فلا يستعمل المُحْتَسِب من الأعوان من كان غائظًا، ولا غضوبًا، ولا مهذارًا كثير الكلام، وإنما كان يستعمل من كان خيرًا، عفيفًا، ورعًا، لا يميل، ولا يرتشي، مشهورًا بالثقة والأمانة، عارفًا بصنعته، خبيرًا بالجيد والرديء من حرفته، وكان لهؤلاء الأعوان أجرة يتقاضونها يوميًا(٤٧).

وعلى المُحْتَسِب أن يجعل لكل أهل صناعة أمينًا عليهم، بعد أن يتم انتخابه من قِبل أهل حرفته، ويشترط فيه الفقه والعلم والخير، وكانت مهمة **الأمين** أن يصلح بين أهل الطائفة

---

(٤٣) يحيى بن عمر: أحكام السوق، ص٣١، ٣٢، ٣٨، ٥٧–٦٠؛ ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله، توفى في النصف الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م): رسالة في آداب الْحِسْبَة والمُحْتَسِب، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحْتَسِب، نشر: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٩٢؛ الجرسيفي: رسالة في الحسبة، ص١٢٠، ١٢٦– ١٢٧؛ المَقَّرِيّ: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩.

(٤٤) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٤٣؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص٩.

(٤٥) يذكر المَقَّرِيّ أن المُحْتَسِب كان يخرج إلى الأسواق، وبصحبته الأعوان ومعه ميزانه الذي يزن به السلع والبضائع، فإذا وجد ناقصًا في الميزان أو زيادةً في السعر المقرر عاقب البائع. نَفْح الطِّيبِ، ج١، ص٢١٨.

(٤٦) السقطي: في آداب الحسبة، ص٩، ٣٣.

(٤٧) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص١١، ١٢.

الحرفية إذا دب بينهم خلاف، ولا يصل هذا الخلاف إلى الحاكم، ويكون حكم الأمين إلزاميًا للحرفيين والصناع(٤٨).

واهتم خلفاء الموحدين بخطة الحسبة وأولوها عنايتهم، وحرصوا على تعيين أمناء للأسواق لمساعدة المُحْتَسِب في مهمته بالإشراف على أعمال الحسبة، فيذكر المَرَّاكُشِي(٤٩) أن المنصور الموحدي "أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم".

ولعل أهم دليل على أهمية وظيفة المُحْتَسِب في الأَنْدَلُس من الناحية العملية في الإشراف على الحرفيين والصناع والأسواق بصفةٍ عامة، أن ملوك إسبانيا النصارى كانوا كلما أخذوا من المسلمين إقليمًا، أبقوا فيه على المُحْتَسِب، ولهذا نجد لفظ المُحْتَسِب يدخل اللغة الإسبانية، ويطلق على الوالي المكلف بضبط الموازين والمكاييل(٥٠).

ثالثًا: الأوضاع الاجتماعية للحرفيين والصناع:

تعد فئة الصناع والحرفيين أهم فئات المجتمع في الدولة الإسلامية(٥١)، التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ لدورها الكبير وإسهاماتها في توفير متطلبات الحياة اليومية للمجتمع، وتزداد أهمية الصناع والحرفيين مع اتساع العمران وازدهار المدن، وكثرة سكانها ومرافقها، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه ابن خلدون في قوله: "أن الصَّنَائِع تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته"(٥٢).

ولأهمية الصَّنَائِع والحرف في المجتمع عدها البعض (أي الصنعة) أول ما ينبغي للإنسان أن يتعلمه بعد معرفته دينه، ولعل هذا جعل إقبال العامة على تعلمها إذا لم ينل حقه

---

(٤٨) ابن عَبْدون: رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ص٢٤.

(٤٩) المُعْجِب، ص٢٦٢.

(٥٠) بروفنسال: المدن والنظم المدنية في المغرب الإسلامي، ص٨٨؛ العبادي: الحياة الاقتصادية، ص١٥٩.

(٥١) العبادي: الحياة الاقتصادية، ص١٣٧.

(٥٢) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ط٢، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٥٠٢.

في التعليم، وهذا ما نستشفه من قول المَقَّرِيّ(٥٣): "فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغًا عالة على الناس؛ لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس، ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة".

وتحفل الأمثال الأندلسية بالعديد من أسماء أصحاب الحرف والصناعات، وكثير من الأمثال التي تحث على الكد والسعي للعمل وتعلم الصنعة، وتذم الكسل والعجز، فيقولون: "اخدم بَاطِل، ولا تَجْلس عاطل"، ويقولون: "غُبار العمل أخْيَر من زعفران العُطْلَة"(٥٤).

كما حثتهم بعض الأمثلة على التمسك بصنعة الآباء، فكانوا يقولون: "صنعة والدك، ولو كان حشّاشًا"، وفى هذا المثل أيضًا تعبير عن مفهوم اجتماعي قديم، وهو أن لا تخرج الفئة الاجتماعية عن دائرتها وما كُتب عليها(٥٥).

كما تشير الأمثال إلى ما يكون من عداوة بين المشتركين في صنعة واحدة فيقولون: "صاحب صَنْعتك عَدُوك، ولو كان أخاك"(٥٦).

---

(٥٣) نَفْح الطِّيبِ، ج١، ص٢٢٠.

(٥٤) الزجالي (أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الأَنْدَلُس، تحقيق: محمد بن شريفة، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٥م ، ج١، ص٢٤٧، ٢٤٨ مثال رقم٢٢٠، ج٢، ص٣٩٣ مثال رقم١٧١٩.

(٥٥) الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٤٨.

(٥٦) الزجالي: أمثال العوام، ج١، ص٢٤٨.

وعادة ما ينتسب الشخص إلى حرفته أو حرفة أبيه مثل ابن الصَّائِغ[٥٧] وابن الدباغ[٥٨] وابن الصبّاغ[٥٩] وابن الخباز[٦٠] وابن الفخار[٦١] وابن الفراء[٦٢] وابن الطحان[٦٣] والكتاني[٦٤] والوراق[٦٥].

وأما عن لباس الصناع والحرفيين، فالمعلومات عنها قليلة، باستثناء ما ذكره ابن الخطيب[٦٦] أنه: "كان لكل عمل ثوب، ولكل مهنة زيّ"، والجدير بالذكر أن أهل الصناعات

(٥٧) ابن بَسَّام (أبو الحسن علي بن بَسَّام الشنتريني، ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨م، ج٦، ص٦٢١ ؛ ابن الأبَّار: التكملة لكتاب الصلة، ج٣، ص٢١٣، ٥٣٣، ٥٦٠؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص١٥٩، ٥٢٤؛ المَقَّرِيّ: نَفْح الطِّيبِ، ج٣، ص٣٧٣؛ ح٤، ص١٤٨؛ ج٧، ص١٧.

(٥٨) ابن بَسَّام: الذخيرة، ج٥، ص٤٠٢ ؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١، ص٧٦؛ المَقَّرِيّ: نَفْح الطِّيبِ، ج٢، ص٥٩، ١٠٥.

(٥٩) الضبي (أحمد بن يحيى بن القرطبي، ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م): بُغية الملتمس في تاريخ رجال الأَنْدَلُس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م، = = ج١، ص٢٦٥؛ ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي، ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٤، ص١٢٢؛ المَقَّرِيّ: نَفْح الطِّيبِ، ج٣، ص٣٧٣؛ ح٦، ص٢١٥.

(٦٠) ابن الأبَّار: التكملة لكتاب الصلة، ج٢، ص٧٣، ج٤، ص٥١؛ المَرَّاكُشِي: الذيل والتكملة، ج٤، ص٣٣٨، ٣٧٣؛ المَقَّرِيّ: نَفْح الطِّيبِ، ج٢، ص٥٣٨؛ ج٧، ص٢٧٠.

(٦١) ابن الأبَّار: التكملة، ج٢، ص١٨١.

(٦٢) الحُميدي (أبو عبد الله محمد أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت٤٤٨هـ/ ١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأَنْدَلُس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٩٦م؛ ابن بشكوال: الصلة، ص١٩٣؛ المَقَّرِيّ: نَفْح الطِّيبِ، ج٢، ص١٥٢.

(٦٣) ابن الفرضي (عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر، ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): تاريخ علماء الأَنْدَلُس، نشر: السيد عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م، ج١، ص٨٢؛ ابن بشكوال: الصلة، ص١٠٨، ٤٥٤، ٤٧٥.

(٦٤) الحميدي: جذوة المقتبس، ص٤٩؛ الضبي: بُغية الملتمس، ج١، ص٩٤.

(٦٥) ابن الأبَّار: التكملة، ج٣، ص٢٣٢.

لم يكونوا يتميزون بلباس مختلف فحسب، بل إن أهل الصنعة الواحدة قد يتميزون بلباس مختلف من منطقة إلى أخرى، حيث يذكر ابن صاحب الصلاة أن لبس زياتي قُرْطُبة(٦٧) يختلف عن لبس زياتي إِشْبِيلِيَة(٦٨).

رابعًا: الأوضاع الاقتصادية للحرفيين والصناع :

أما عن الأوضاع الاقتصادية للحرفيين والصناع، فيذكر ابن خلدون(٦٩) أن: "أهل الصَّنَائِع إذا فقدوا الجاه، واقتصروا على فوائد صنائعهم؛ فإنّهم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر، ولا تسرع إليهم ثروة، وإنّما يرمّقون العيش ترميقًا، ويدافعون ضرورة الفقر مدافعة".

وخير تعبير عن أوضاع حالتهم المعيشية ما عبّر عنه الدمشقي(٧٠) بقوله: "وإنما الصَّنَائِع العملية، وهي المهن؛ فقد قيل قديمًا: "الصناعة في الكف أمان من الفقر، وأمان من الغنى"، وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لابد منه، ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمة، وأيضًا فإنه مع ذلك إذا ميز الناس دخله فهو من أقل طبقاتهم.

ويتعلق الوضع الاقتصادي للصناع والحرفيين بأجور العمال في الأَنْدَلُس، ولكن المعلومات عنها نادرة، باستثناء ما أوردته المصادر من إشارات متفرقة عن هذا الموضوع،

---

(٦٦) الإحاطة، ج٣، ص٣٤.

(٦٧) قُرْطُبة Cordava: مدينة عظيمة وسط الأَنْدَلُس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قُرْطُبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر. الإِدْرِيسي: نُزْهَة المُشْتَاق، ص٥٧٤؛ الْحِمْيَرِي: الرَّوْض المِعْطَار، ص٤٥٦.

(٦٨) المن بالإمامة، ص٦٧. وإِشْبِيلِيَة Seville: مدينة قديمة بالأندلس، أصل تسميتها "إشبالي" أي المدينة المنبسطة، وتقع على نهر الوادي الكبير، وتنتشر فيها الجنات والبساتين. الإِدْرِيسي: نُزْهَة المُشْتَاق، ج٢، ص٥٤٠.

(٦٩) العبر، ج١، ص٤٩٠.

(٧٠) الدمشقي (أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، عاش في القرن٦هـ/١٢م): الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٦٣.

فبالنسبة للخبازين يذكر السقطي[٧١] أن أجرة العجان كانت درهم ونصف، والرفاد ثلاثة أثمان درهم، والوقاف نصف درهم.

وفي عصر الموحدين لم تذكر لنا المصادر أجرة العاملين، لكنها عادةً ما تؤكد إغداق الخلفاء عليهم العطايا بعد كل عمل يقومون به[٧٢].

ورغم قلة المعلومات عن أجور الصُناع؛ فقد ذكر ابن حَوْقَل نصًا في غاية الأهمية يذكر فيه أن أوضاع الصناع لم تكن جيدة، ومستواهم المعيشي متدنٍ، فيقول: "وأقلّ سوق بها (الأندلس) يصير إليه أهله إلا على الفارة من المركوب، ولا يعرف فيهم المهنة والمشي إلا أهل الصَّنَائِع والأراذل"[٧٣]. ورغم أن ابن حَوْقَل قد أشاد بخيرات الأَنْدَلُس ومظاهر الترف والثراء الشديد التي لاحظها على المجتمع الأندلسي، لكنه استثنى من ذلك الصناع والحرفيين، وهو ما يؤكد أن الأحوال العامة لهذه الفئة لم تكن جيدة.

وربما قصد ابن حَوْقَل أهل بعض المهن البسيطة، ولا يقصد فئات الصناع جميعًا؛ لأن تعميم ذلك على جميع الصناع لا يصح، ويتنافى مع الحاجة الماسة لخدماتهم ومنتجاتهم، الأمر الذي لا ينسجم مع فكرة العيش بكفاف. ومن جانب آخر فهذا النص يتحدث عن عهد الخلافة الأموية في الأَنْدَلُس (٣٠٠-٤٢٢هـ/ ٩٢٩- ١٠٠٩م) الذي عصر ازدهار اقتصادي، فكيف لنا أن نتوقع أن يكون مستوى أهل المهن متدنياً؟

مما سبق يتبين أن فئة الصناع والحرفيين كانت من أهم فئات المجتمع الأَنْدَلُسي، ومدى اهتمام أهل الأَنْدَلُس بالحرف والصناعات، وكيف شجع المجتمع الأَنْدَلُسي الأفراد على اكتساب الحرف والصناعات التي كانت تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وكيف ساعد ذلك على حذق الأَنْدَلُسيين للحرف والصناعات، ومدى إتقانهم لها، حتى كانوا يُشبهون بالصينيين في إتقان الصَّنَائِع. كما كان الحرفيون والصناع يفتخرون بحرفتهم وينتسبون إليها. وكان التنظيم الحرفي يقوم على التدرج في الحرفة، وكان لكل فئة حرفية أو صناعية مواضع خاصة في

---

(٧١) في آداب الحسبة، ص٢٨.

(٧٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص١١٠؛ المَرَّاكُشِي: المُعْجِب، ص٢٩٣؛ ابن عِذَارِي: البَيَان المُغْرِب، ج٣، ص٦٩- ٧٠.

(٧٣) صورة الأرض، ص١١٤.

المدن والأسواق أو على أطراف المدن، وكانت الدولة تتولى الإشراف على الحرفيين والصناع من خلال نظام الحسبة، أما عن المعلومات الخاصة بأوضاعهم الاقتصادية فقليلة للغاية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:

١- ابن الأبَّار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر، ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، ١٩٩٥م.

٢- ابن بَسَّام (أبو الحسن علي بن بَسَّام الشنتريني، ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٨م.

٣- ابن بَسَّام (محمد بن أحمد المُحْتَسِب، عاش في القرن ٦-٧هـ/ ١٢- ١٣): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٠م.

٤- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م): الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس، تحقيق: السيد عزت العطار، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥ م.

٥- البُنَّاهِي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن، ت نحو٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م): المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء أو تاريخ قضاة الأَنْدَلُس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٣م.

٦- الجرسيفي (عمر بن عثمان بن العباس، توفى في النصف الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م): رسالة في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الْحِسْبَة والمُحْتَسِب، نشرها: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٧- الحُميدي (أبو عبد الله محمد أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت٤٤٨هـ/ ١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأَنْدَلُس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٩٦م.

٨- ابن حَوْقَل النصيبي (أبو القاسم مُحمد بن علي، ت٣٨٠هـ/١٩٩٠م): صورة الأرض، جزءان، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

٩- ابن حَيَّان (أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأَنْدَلُس، "قطعة خاصة بالسنوات الأخيرة من عهد عبد الرحمن الأوسط وعهد الأمير محمد بن عبد الرحمن"، تحقيق: محمود مكي، بيروت، ١٩٩٤م.

١٠- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي، ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة، الطبعتين الأولى والثانية، ٤ أجزاء، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣–١٩٧٥م، ١٩٧٧م.

١١- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ط٢، تحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

١٢- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن، ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، دار العلم، بيروت، ١٩٥٥م.

١٣- الدمشقي (أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، عاش في القرن٦هـ/ ١٢م): الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٤- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م): تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٥- الرازي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القادر الحنفي، ت٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.

١٦- ابن رحال (أبو علي الحسن بن رحال المعداني، ت١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م): كشف القناع عن تضمين الصناع، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦م.

١٧- الزجالي (أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): أمثال العوام في الأَنْدَلُس، تحقيق: محمد بن شريفة، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٥م.

١٨- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، ت٧٢٦هـ/١٣٢٦م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

١٩- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك، ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م): المُغرب في حُلَي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٠- السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأَنْدَلُسي، عاش في أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م): في آداب الحسبة، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، باريس، ١٩٣١م.

٢١- ابن سهل (عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي، ت٤٨٦هـ/ ١٠٧٥م): ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق: يحيي مراد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٢- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي، ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي التازي، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٣- الضَّبِي (أحمد بن يحي بن القرطبي، ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م): بُغية الملتمس في تاريخ رجال الأَنْدَلُس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٤- ابن عبد الرؤوف (أحمد بن عبد الله، توفى في النصف الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م): رسالة في آداب الْحِسْبَة والمُحْتَسِب، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحْتَسِب، نشر: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٥- ابن عَبْدون (محمد بن أحمد التجيبي، توفى في النصف الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م): رسالة في القضاء والْحِسْبَة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمُحْتَسِب، نشر: ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٢٦- ابن عِذَارِي (أبو عبد الله أحمد بن محمد المَرَّاكُشِي، كان حيًا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م): البَيَان المُغْرِب في أخبار الأَنْدَلُس والمغرب – قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٧- ابن العطار(مُحمد بن أحمد الأموي، ت٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م): الوثائق والسجلات، تحقيق: بدور شالميتا وكورينطي، المعهد العربي الإسباني للثقافة، مدريد، ١٩٨٣م.

٢٨- ابن عُمر(أبو ذكريا يحي بن عُمر، ت٢٨٩هـ/٩٠١م): أحكام السوق، تحقيق: محمود علي مكي، ***مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية***، المجلد٤، مدريد، ١٩٥٦م.

٢٩- العُمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي، ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الطبعة الأولى، ٢٧ جزء، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٢م.

٣٠- ابن غالب (محمد بن أيوب الغرناطي، عاش في القرن ٦هـ/ ١٢م): قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق: لطفي عبد البديع، ***مجلة معهد المخطوطات العربية***، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣١- ابن الفرضي (عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر، ت٤٠٣هـ/ ١٠١٣م): تاريخ علماء الأَنْدَلُس، نشر: السيد عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٣٢- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن عبد لله، ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤مجلد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

٣٣- المَرَّاكُشِي (أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠١٢م.

٣٤- المَرَّاكُشِي (عبد الواحد بن علي، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٥- المَقَّرِيّ (شهاب الدين أحمد بن مُحمد التلمساني، ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م): نَفْح الطِّيبِ من غُصن الأَنْدَلُس الرَطِيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٦- الوَنْشَرِيسي (أبو العباس أحمد بن يحيى، ت٩١٤هـ/ ١٥٠٤م): المِعْيار المُعْرِب والجامع المُغْرِب عن فتاوى علماء إفريقية والأَنْدَلُس والمَغْرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

١- أحمد مختار العبادي: "الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية"، ***مجلة عالم الفكر***، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، الكويت، ١٩٨٠م.

٢- بروفنسال، ليفي: "المدن والنظم المدنية في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ضمن سلسلة محاضرات عامة في أدب الأَنْدَلُس وتاريخها"، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة: عبد الحميد العبادي، المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م.

٣- خالد عبد الكريم البكر: النشاط الاقتصادي في الأَنْدَلُس في عصر الإمارة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٩٩٣م.

٤- سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥- السيد عبد العزيز سالم: قُرْطُبة حاضرة الخلافة في الأَنْدَلُس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٦- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣م.

٧- عز الدين أحمد موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي (تنظيماتهم ونظمهم)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.

٨- كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأَنْدَلُس الاقتصادي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

٩- محمد محمد الكحلاوي: عرفاء البناء في المغرب والأندلس وأهم أعمالهم المعمارية، السجل العلمي لندوة الأَنْدَلُس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٦م.

١٠- الناصري: الاستقصا لأخبار الغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.